المواعيد

— ٢ —

بقلم كاتب كبير معروف

بين القضايا التي تحدث بين الناس عادة قضايا مستعجلة مفاجئة وشأنها شأن المرض الفاجئ الذي ينتاب الانسان على حين غرة منه ، وكلا المصابين : ذو الحاجة وذو المرض يسرع الى من يزيل عنه كابوسه الدائم ، فاذا تباطأ المسؤول عن انجاز حاجة مستعجلة لا يمكن المطل فيها ، وتقاعس الطبيب عن اسعاف مريضه فقد هلك الرجلان واجرم المهملان .

الموظف — ايا كانت منزلته ودرجته — اجير في الدولة ، انيط به عمل فان لم يتعهد ما اودع اليه بسرعة ونزاهة فقد خان امانة طلب اليه السهر على حفظها ورعايتها ! وان وعد بقضاء حاجة فقد لزمه الاداء من غير مطل ومن غير تسويف وقد قال امام البلغاء العادل علي عليه السلام (من ظن فيك خيراً فصدق ظنه)

وانت لا تصدق ظن احد فيك ما لم ترع الوعد وتنجز حاجات الناس في أوقاتها براً لقسمك وحفظاً لذمامك ، ولن تكمل مروءتك إلا اذا قلت صواباً واجتنبت مذمات الشؤون ويرحم الله ابا الاسود الدؤلي اذ يقول :

اذ قلت في شيء (نعم) فأتمه فأن (نعم) دين على الحر واجب
وإلا فقل (لا) تستريح وتريح بها
لئلا يقول الناس انك كاذب

كانت فهي تتطلب أيد عاملة بريئة من الأمراض سليمة الاجسام قوية العضلات لذا فمشروع الجامعة يجب أن يتضمنه العمل لمكافحة الأمراض ومطاردتها بتوسيع كلية الطب ومعاهد الجراحة لاعداد جموع غفيرة من الأطباء والاخصائيين .

فهذه الأمور الثلاث هي غاية ما تتطلبه حياتنا الاجتماعية فالاسراع في علاجها واصلاحها أمر لا مناص منه .

ان هذه الحالة وهذا الوضع المؤلم كاف في تنبيه أرباب المسؤولية للقيام بتحقيق « مشروع الجامعة العراقية » الذي ان تم فسيكون ركناً قوياً يرفع مستوانا الاجتماعي والاقتصادي والخلقي أيضاً . وجدير بولاة الأمور الامناء ان يستعينوا بالشعب ومساعدة ذوي المقامات العالية من أهل الثراء ومحبي الخير وأرباب الحماس الوطني ليستطيعوا انجازه باسرع وقت ممكن .

هذه مصر وتلك سوريا يتمتع كل منهما بجامعة واسعة كفلت ابناءها كفالة صحيحة واصبحت تصدرها الى باقي البلدان العربية كانتاج زائد فهلا نعتبر بهما وهلا نستوضح منهما ونحن امة لا تقل عنهما في كل شيء . فالمواهب في ابناء العراق لا تحتاج وجودها الى برهان ، والثراء بحمد الله يكفي لسد النقص ومساحة القطر تحتاج الى مستغل ومستفيد في الوقت الذي لو قارنا انفسنا بسوريا عدداً ومالا ومساحة لوجدنا الفروق جلية ولو فتشنا عن النشاط الاقتصادي والعملي في سوريا لعرفنا اننا امة خاملة تحتاج الى قرع وقذع .

فالى حماة الوطن والى رجال الحكم والى بارزي القطر دونكم فالتمسوا العمل فان الزمن قد جد في عدوه وان البشر اصبح لا يرضى الا بمناطحة السحاب فالثانية قد جزئت والذرة قد قسمت فهلا ترغبون في ان تكونوا مثلهم وفيكم العدة والعدد وعندكم المال والثراء ومنكم ذوي المواهب وأهل الاستعداد

علي الخاقاني

كثيرون هم الذين ينعمون على اصدقاء لهم متسؤولين وغير مسؤولين كانوا قد وعدوهم بقضاء مصالحهم وما حل بهم من ازمات بسيطة ليست مما تستدعي تفكيراً او إحالة على الزمن ولكنهم مع شدة مايربطهم باولئك المسؤولين وغير المسؤولين من اواصر صداقة ووشائج من صلات ادبية واجتماعية على الرغم من ذلك كله فان اصحاب الحاجات هؤلاء كانوا يلاقون اوعاداً مؤكدة وعهوداً لازمة ، ولكنهم اذا استنجزوا ما وعدوا به ممن هو قدير على الوفاء وحل العقد عادوا كما بدأوا ، عادوا بوعد يتبعه وعد وهم يراجعون ويبدون ما يعانون من حيف وخسران واحجابهم المسؤولون يعدون ويعدون ثم يخلفون خلفاً قبيحاً منكراً لا مبرر له . وهكذا تلاشت صداقات وتقطعت اسباب وتوطد جفاء بعد وصال كان قائماً على ود صميم !

لمن تطاب الدنيا اذا لم ترد بها سرور محب أو اساءة مجرم ؟

وانك لتحسب ان صديقك وهو وزير مثلا أو ذو مكانة أو انه شخص مسموع الكلمة مقبول الشفاعة في دوائر الدولة فتعقد عليه رجاءك وتلقى منه اذناً صاغية لشكاتك أو قضاء حاجتك ، فترجع منه مثلوج الفؤاد قرير العين ، غير ان الايام تكر عليك وانت تراجع ولا انجاز يرضيك بل يشفيك ولا هو موقر اذنك بلفظة « لا » لتستأنف مسعاك وتصرف جهودك في السبيل التي تنتهي بك الى ما تريد .

اين انتم ايها المخلفون من شاعر الدنيا وامثاله السوائر ومقلداته المشعة على عرنين الزمن ! ؟ أين أنتم منه اذ يقول في انجاز امثال هذه المواعيد التي تماطلون بها :

اذا كان ماتنويه فعلا مضارعاً

« مضى » قبل ان تلقى عليه الجوازم !

اتراهم نقموا من « المتنبي » لانه عناهم بقوله ومثله :

جود الرجال من الايدي وجودهم

من اللسان فلا كانوا ولا الجود !

اجل ، لا كان الذين يجودون باللسان ولا كان لهم جود ومفخر ، ورعى الله من قال واتبع قوله فعله .

ولله در المهلب بن ابي صفرة اذ يقول لأولاده « يا بني اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلماً فكفى بذلك تقاضياً » !

هذا والله من أشرف الكلام ، وهو عين المجد وجماع النبل وعنوان السؤدد الخالد .

واذا قلنا هذا في المماطلين المخلفين فان الواقع يقتضينا ان نقرر وان نسجل هنا بان في بلادنا رجالا — موظفين وغير موظفين — يفون بالوعد ويبتدئون بالاحسان والمعروف وعلى نواصيهم « طغراء » المجد والفضل يرعون الذمام ويستجيبون الى داعي المكارم طوعاً من طبائعهم وجرياً على وحي من ضمائرهم ، يفعلون ولا يرجون حمداً او جزاء رائدهم المروءة وهيامهم بالمجد ، وان احب المكاسب عندهم ، تنفيس كربه وقضاء حاجة ووفاء بعهد ، والى امثالهم اشار المتنبي فقال :

ترفع عن عون المكارم قدره فما يفعل الفعلات إلا عذار يا !

* * *

من حسن الحظ ان هؤلاء ليسوا بالنزر اليسير في دوائرنا ومحافلنا ، ولكننا ننشد الكمال دائماً ابداً وأن القمح النقي العذب تكدره قذاة واحدة فكيف اذا كثر المكدرون ؟!

نريد مجداً منزه الاطراف ودنياً فاضلة محببة واقتداء بالسلف الصالح واحتذاء على خطوات كل شعب تسود فيه الحرية والمساواة في الحقوق ليكون العدل الاجتماعي حقيقة ملموسة لا خيالا وقانوناً نافذاً لا نظرية تلوكها الأفواه لا يلمس لها جانب ولا يعرف اين مستقرها ومثواها !

اذا ساد فينا هذا السداد ، وعم فينا هذا الخير والحق والصدق فقد بلغنا غاية سامية وسمونا الى غارب المجد الذي نتغنى بالوصول اليه لاننا لا نريد ان نقيم على منتصف السلم وانما هدفنا بلوغ الغاية وعند ذلك تختفي شكوى الشكاة ولا نسمع ناعياً على مخلف لوعده أو مهمل لعمله ، بل يحل الثناء محل الشتم والتقريع .

ليس في عمل الموظف عناء يبهظه عاتقه وليس هنالك استنباط لدقائق مجهولة الحل ! كلا ليس من هذا شيء أو بعض شيء ! إنما هو عمل سهل يسير ليس فيه كلفة ولا عناء وانما الكلفة والعناء فوجودان في ضمير المسؤول اذا تقاعس عن انجاز العمل فالعلة هناك وليست في صميم المسائل والمشاكل .

واذا انصف (الاجير) واخلص للواجب فانه واجد عملا سهلا ليناً لاعنت فيه ولا ارهاق فهو بؤديه كاملاً في سويعات معدودات على اني لست انكر ان بين القضايا التي تعرض على الدوائر الرسمية مثاكل تحتاج الى درس وتمحيص وتحقيق للوصول الى التمييز ومعرفة الحق المتنازع عليه بين المتخاصمين ، ولا ريب ان استجلاء الحقيقة في القضايا المتشابكة ليس من السهل البت فيها ، وليس من يلوم مسؤولا اذا ارجأ اعطاء النتائج في مثل هذه الامور المتداخلة والتي يتعاورها النقض والابرام . لأن الارجاء اذا كان سببه البحث وكشف النقاب عن الحق المضاع فذاك فضيلة يحمد عليها الفاعلون ولكن امثال هذه القضايا واحد من مئات كلها بسيط ويجري على غرار واحد ومنوال معين ، وهنا تكون المؤاخذة والمسؤليه والنقد في تأخير عمل لا يحتمل ارجاءاً ولا مماطلة . كما ان المشاكل المعقدة لا يجوز ان يمتد بها الزمن شهوراً وشهوراً تمسكا بدعوى تداخلها وغوامضها . .

واذا ادى كل فرد منا واجبه على الوجه الصحيح والحق المرعي الجانب لم يبق اثر للوعود فانها لتندثر و يندثر معها الحلف والمطال ، لم يبق اثر للوعد اذن إلا في حالات شاذة والشذوذ قاعدة هي الى النفي اقرب منها الى الايجاب .

واذا كانت هناك ضرورة للوعد ليكون للانجاز حلاوة وانتظار سار فيجب القضاء على الحلف فيها ، يجب الاعتداد بميقات الوعد حتى اذا حل يومه كان الوفاء وكان الانجاز وكان ما نويته (مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم) . »

ليس في شؤون الدوائر مشاق ومصاعب حتى تفرغ حاجة اليوم في كأس غدها وغد غدها كمن يصهر حديداً و يستنضح صلباً و يجعل من الهين اليسير عظيما مستحيلا ؛ وان نحن فعلنا هذا فقد فعلنا شراً ونكراً .. !

* * *

قال الامام علي سلام الله عليه في بعض عهده الى مالك الاشتر حين ولاه مصر : (.. واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها ، واياك وحب الاطراء ، فان ذلك من اوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق مايكون من احسان المحسنين واياك والمن على رعيتك باحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك أو ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فأن المن يبطل الاحسان والتزيد يذهب بنور الحق ، والخلف يوجب المقت عند الله والناس ، قال سبحانه وتعالى: كبر مقتاً ان تقولوا مالا تفعلون)

كنت اشغل وظيفة ـ ملاحظ . . . في احدى الوزارات ـ الجليلة نحو حولين كاملين ، وعلى الرغم من وفرة الرسائل التي كنت امارس قراءتها واصلاح اخطائها فانني لم اجد اي عناء في انجازها يوماً فيوماً ، كما كان مناطاً بقلمي الاجابة على عرائض ذوي الحاجات و كنت انجز ذلك من غير اهمال أو وعد أو إرجاء .

واذكر ان بعض المراجعين طال تردده على الرسائل ، وعلى شعب الديوان الاخرى باحثاً عن عريضة له ان استقرت وعما اجيب عنها من الجهة المسؤولة المقدمة اليه ، وقد زعم زاعم في الوزارة ان العريضة في « ملاحظية الرسائل » ! هكذا زعموا ، وبعد الفحص الشديد عنها وجدوها بين اوراق ـ ذلك الموظف الزاعم ـ وظهر انها قد وردت الى الرسائل وصدرت عنها في يوم وصولها وكان شاهدها ما على هامشها من تاريخ !

ولقد قلت لبعض المسؤولين في الوزارة ـ عند هذه المناسبة ـ : اذا انا انجزت عمل الرسائل في حينه وانهيت ما ينبغي لها من اصلاح وانشاء جواب فلست في ذلك متبجحاً أو مفتخراً ! وذاك لأن عمل الاوراق لا يحتمل تطاولا واختيالا وما هو بمجهود جبار يرهق المضطلع به ، واذن فليست الاعمال الكتابية اختراع قنبلة أو بناء باخرة أو عملا معجزاً حتى يعتد صاحبه به لانه بز المخترعين والمنتجين فيما اضاف الى الدنيا من مخترع جديد نافع بعد اعتكاف طويل وروية مضنية ! ! . »

واذا لم اعتد بشيء من انجاز امثال هذه المعاملات القرطاسية فذاك لأن الموظف مهيأ لعمل معين وهو ملزم بأدائه واذا كان المثل القائل (لا شكر على واجب) صحيحاً فهو هنا أي عند الموظف المنجز لاعماله أكثر صحة منه في أي مجال آخر وإذا قصر الموظف المناط به عمل معين فلاية غاية عينوه